

مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَةُ الْخَامِسَةُ)

مِنْ مَادَّةِ

[شَرْحُ الْحَائِيَّةِ]

فِي اعْتِقَادِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ]

أَهْلُ السُّنَّةِ كَلِمَتُهُمْ وَاحِدَةٌ

فَمِمَّا اسْتُدِلَّ بِهِ عَلَى صِحَّةِ مَذْهَبِ السَّلَفِ فِي الْإِعْتِقَادِ وَغَيْرِهِ: أَنَّ الْعُلَمَاءَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْعَقِيدَةِ كَلِمَتُهُمْ وَاحِدَةٌ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ وَالْأَقْطَارِ مِنَ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ.

وَلَوْ أَنَّكَ نَظَرْتَ فِي كِتَابٍ مِنْ كُتُبِ الْإِعْتِقَادِ الَّتِي حَرَّرَهَا عُلَمَاؤُنَا مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ، فِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، فِي الشَّمَالِ وَالْجَنُوبِ، لَوَجَدْتَهَا كَلِمَةً وَاحِدَةً؛ لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا يَأْخُذُونَ مِنْ مَنْبَعٍ وَاحِدٍ، وَيَصْدُرُونَ مِنْ بَابَةٍ وَاحِدَةٍ، وَالَّذِي يَنْهَلُونَ مِنْهُ مَعِينُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَلَا اخْتِلَافَ.

وَأَمَّا أَهْلُ الْأَهْوَاءِ وَالزِّيغِ، وَأَصْحَابُ الْمَذَاهِبِ الَّتِي جَانَبَتْ أَهْلَ السُّنَّةِ: فَكَلِمَاتُهُمْ مُضْطَرِبَةٌ، وَخِلَافَتُهُمْ كَثِيرَةٌ، وَرُدُودُ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْمَسْأَلَةِ الْوَاحِدَةِ مِنْ أَصُولِ الْإِعْتِقَادِ لَا تَكَادُ تُحْصَى، وَهَذِهِ مِنْ سِمَاتِهِمُ الَّتِي غَلَبَتْ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَصْدُرُوا مِنْ مَصْدَرٍ وَاحِدٍ، وَلَمْ يَنْهَلُوا مِنْ مَعِينٍ وَاحِدٍ، وَإِنَّمَا حَكَّمُوا آرَاءَ الرِّجَالِ، وَرَجَعُوا إِلَى الْأَرَءِ وَالْأَفْكَارِ وَالْعُقُولِ، فَاخْتَلَفَتْ كَلِمَتُهُمْ وَتَبَايَنَتْ طُرُقُهُمْ، وَأَمَّا عُلَمَاؤُنَا مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ فَإِنَّهُمْ يُقَرَّرُونَ الْوَاقِعَ الَّذِي جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ، وَنَطَقَتْ بِهِ السُّنَّةُ؛ فَانِّي يَخْتَلِفُونَ؟

مَرَّ مَعَنَا بِفَضْلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا بَعْضُ آيَاتٍ مِنَ الْمَنْظُومَةِ الْحَائِيَّةِ لِأَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي دَاوُدَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِكِتَابِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَأَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تَكَلَّمَ اللَّهُ ﷻ بِهِ حَقِيقَةً، وَأَنْزَلَهُ حَقِيقَةً، أَوْحَاهُ إِلَى جِبْرِيلَ، وَنَزَلَ بِهِ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَبَلَّغَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا أَوْحِيَ إِلَيْهِ.

فَهُوَ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مُنَزَّلٌ، مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ.

وَبَعْدَ الْعَلَامَةِ الْإِمَامِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي دَاوُدَ، جَاءَ الْعُلَمَاءُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ فَكَتَبُوا فِي الْعَقِيدَةِ وَنَظَّمُوهَا أَيْضًا، وَمِنْ ذَلِكَ: الْمَنْظُومَةُ الْمُنْسُوبَةُ لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، وَهِيَ اللَّامِيَّةُ:

وَأَقُولُ فِي الْقُرْآنِ مَا جَاءَتْ بِهِ آيَاتُهُ فَهُوَ الْكَرِيمُ الْمُنَزَّلُ

كَلِمَةً وَاحِدَةً؛ كَمَا قَالَ السَّابِقُ يَقُولُ اللَّاحِقُ، وَكَمَا يَقُولُ الْمُعَاصِرُ يَكْتُبُ الْمُعَاصِرُ؛ لِأَنَّ الْعَقِيدَةَ وَاحِدَةٌ لَا اخْتِلَافَ فِيهَا، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ مَا كَتَبُوا وَحَرَّرُوا، وَسَطَرُوا وَنَظَرُوا، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي عَلَيْكَ أَنْ تَعْرِفَ مَا قَالُوا، وَمَا صَنَّفُوا، وَمِنْ الرَّحْمَةِ -لِأَنَّهَا كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ- أَنَّكَ لَوْ نَظَرْتَ فِي مُصَنَّفٍ وَاحِدٍ مِنَ الْمُصَنَّفَاتِ الْأُمَمَاتِ الَّتِي صَنَّفَهَا عُلَمَاؤُنَا الْأَثْبَاتُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي أُمُورِ الْإِعْتِقَادِ، ثُمَّ حَرَّرْتَهُ تَحْرِيرًا مُنْضَبِطًا لَا كُتِفَتْ بِهِ.

فَالْعَقِيدَةُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ، وَإِنَّمَا يُنَوِّعُونَ عَلَى حَسَبِ حَاجَةِ أَهْلِ الْعَصْرِ، وَعَلَى حَسَبِ طَاقَاتِهِمْ؛ فَمَرَّةً يَنْظُمُونَ، وَمَرَّةً يَخْتَصِرُونَ، وَمَرَّةً يُسَهِّبُونَ،

وَمَرَّةً يَشْرَحُونَ؛ كُلُّ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ بَيَانِ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ، وَمُحَارَبَةِ أَهْلِ
الزَّيْغِ وَالْأَهْوَاءِ.



مِنْهَاجُ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَأَقُولُ فِي الْقُرْآنِ مَا جَاءَتْ بِهِ آيَاتُهُ فَهُوَ الْكَرِيمُ الْمُنَزَّلُ

أَعْتَقِدُ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا جَاءَتْ بِهِ آيَاتُهُ مِنْ أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ، فَاللَّهُ هُوَ الَّذِي قَالَ إِنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُهُ، وَنَزَلَ بِهِ جِبْرِيلُ بِذَلِكَ، تَكَلَّمَ اللَّهُ بِهِ حَقِيقَةً بِحَرْفٍ وَصَوْتٍ، وَهُوَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَمَا تَقُولُ الْجَهْمِيَّةُ وَالْمُعْتَرِلَةُ.

وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ فَقَدْ كَفَرَ؛ لِأَنَّهُ زَعَمَ أَنَّ صِفَةً مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ مَخْلُوقَةٌ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ صِفَةً مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ مَخْلُوقَةٌ فَقَدْ كَفَرَ.

الْقُرْآنُ صِفَةُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَصِفَاتُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَنَظْمُوعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَأْمَرَهُ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكَ قَالَكُمُ اللَّهُ مِنْ

قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿[الفتح: ١٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [السجدة: ٢].

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١].

﴿نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحاقة: ٤٣].

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَدِلَّةِ مِنْ كَلَامِ رَبَّنَا، وَكَذَلِكَ مِنْ كَلَامِ نَبِيِّنا ﷺ، وَعَلَى هَذَا إِجْمَاعُ السَّلَفِ.

وَأَقُولُ فِي الْقُرْآنِ مَا جَاءَتْ بِهِ آيَاتُهُ فَهُوَ الْكَرِيمُ الْمُنْزَلُ

الْكَرِيمُ: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٧]. أَيُّ عَظِيمِ الْمَنَافِعِ، كَثِيرُ الْخَيْرِ، غَزِيرُ الْعِلْمِ، فِيهِ مِنَ الْبَرَكَاتِ مَا يَعْجِزُ الْمُتَكَلِّمُ عَنْ إِحْصَائِهِ وَذِكْرِهِ.

وَمِنْ كَرَمِهِ: كَثُرَتْ أَسْمَاؤُهُ؛ فَمِنْهَا: الْقُرْآنُ، وَالْفُرْقَانُ، وَالضِّيَاءُ، وَالنُّورُ، وَالْهُدَى، وَالشِّفَاءُ، وَالرَّحْمَةُ، وَالْعَطَاءُ، وَالْمَوْعِظَةُ، وَهُوَ الْكِتَابُ الْمُبِينُ، وَالذِّكْرُ الْحَكِيمُ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَسْمَاءِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ.



إِعْمَالُ الْعَقْلِ فِي غَيْرِ مَجَالِهِ

مُشْكِلَةُ الْمَشَاكِلِ أَنَّ أَقْوَامًا أَدْخَلُوا الْعَقْلَ فِيمَا لَا مَجَالَ لَهُ، وَالْأَصْلُ: أَنَّ الْعَقْلَ لَهُ مَجَالٌ يَعْمَلُ فِيهِ وَلَا يَتَخَطَّاهُ، كَالْبَصَرِ -مَثَلًا- فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْعَمَ عَلَى الْإِنْسَانِ بِنِعْمَةِ الْبَصَرِ وَجَعَلَهَا كَاشِفَةً لِلْمَرِيَّاتِ، وَلَهَا مَجَالٌ مَحْدُودٌ، فَالْإِنْسَانُ يَرَى إِلَى مَجَالٍ مُقَدَّرٍ عَلَى حَسَبِ مَا آتَاهُ اللَّهُ مِنْ قُوَّةِ الْإِبْصَارِ.

لَوْ أَنَّ الْإِنْسَانَ أَرَادَ أَنْ يَتَجَاوَزَ الْمَجَالَ الَّذِي يَعْمَلُ فِيهِ بَصَرُهُ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَتَوَهَّم، وَلَا بُدَّ أَنْ يَتَخَيَّلَ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَ بِأُمُورٍ لَا حَقِيقَةَ لَهَا فِي الْوَاقِعِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُبْصِرُ الْحَقِيقَةَ، وَإِنَّمَا يَتَوَهَّمُهَا تَوَهُّمًا.

الْعَقْلُ كَذَلِكَ.. الْعَقْلُ لَهُ مَجَالٌ مَحْدُودٌ يَعْمَلُ فِيهِ، إِذَا تَجَاوَزَهُ جَاءَ الْخَبْطُ وَالْخَلْطُ وَالتَّشْوِيشُ وَالتَّدْلِيسُ وَالْكَذِبُ، وَالبُهْتَانُ وَالْإِفْتِرَاءُ وَمَا شِئْتَ.

وَلَكِنَّ الْعَقْلَ يَقِفُ عِنْدَ حَدِّهِ، فَأَقْوَامٌ لَمْ يَكْتَفُوا بِذَلِكَ، وَإِنَّمَا أَعْمَلُوا الْعَقْلَ فِي غَيْرِ مَجَالِهِ، الْإِنْسَانُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَعْلَمَ الشَّيْءَ إِلَّا إِذَا خَبَرَهُ؛ يَعْنِي عَايِنَهُ لِمَسَّهُ شَمَّهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ وَسَائِلِ الْإِدْرَاكِ، فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَعْلَمَ الشَّيْءَ إِلَّا بِوَسِيلَةٍ مِنْ وَسَائِلِ الْإِدْرَاكِ، أَوْ بِنَقْلِ صَادِقٍ: أَنْ يَقُولَ لَهُ مَنْ هُوَ مُصَدِّقٌ وَثِقَةٌ عِنْدَهُ: الشَّيْءُ الْفُلَانِي عَلَى هَيْئَةٍ كَذَا، وَبِصِفَةٍ كَذَا، وَبِحَالٍ كَذَا، فَهُوَ يُصَدِّقُهُ وَيَرْجِعُ فِي النِّهَايَةِ

إِلَى مَا عَلِمَهُ مِمَّنْ أَخْبَرَهُ عَلَى حَسَبِ مَا أَخْبَرَ بِهِ أَوْ عَلِمَهُ، فَهَاتَانِ سَبِيلَانِ: إِمَّا أَنْ تُخْبِرَ أَنْتَ، وَإِمَّا أَنْ تُخْبِرَ مِنْ قِبَلِ الصَّادِقِ الَّذِي لَا يَكْذِبُ.

فَأَمَّا إِذَا لَمْ يَتَوَفَّرْ لَكَ هَذَانِ الْأَمْرَانِ، فَأَنْتَ تَقِيسُ عَلَى الْمَثِيلِ وَالنَّظِيرِ فَهَذِهِ سَبِيلٌ ثَالِثَةٌ، فَإِمَّا أَنْ تُخْبِرَ أَنْتَ لِتَعْلِمَ، وَإِمَّا أَنْ تُخْبِرَ أَنْتَ لِتَعْلَمَ، وَإِمَّا أَنْ تَقِيسَ أَنْتَ عَلَى الشَّيْبَةِ وَالنَّظِيرِ وَالْمُسَاوِي وَالْمَثِيلِ لِتَعْلَمَ، فَأَمَّا رَابِعٌ فَلَا، هُوَ الْخَبْطُ وَالْخَلْطُ.

فَالآنَ مَا أَخْبَرَنَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهِ عَنْ ذَاتِهِ، عَنْ صِفَاتِهِ، عَنْ أَسْمَائِهِ أَخْبَرَنَا بِهِ، نَعْلَمُهُ.

مَا أَخْبَرَنَا بِهِ نَبِيُّنا ﷺ عَنْ اللَّهِ ﷻ فِي ذَاتِهِ، فِي صِفَاتِهِ، فِي أَفْعَالِهِ فَإِنَّا نَعْلَمُهُ، نَحْنُ لَمْ نَخْبُرْ شَيْئًا لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَعَلَيْهِ فَإِنَّا لَا يُمَكِّنُ أَنْ نَقِيسَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، فَانْقَطَعَتْ عِنْدَنَا سُبُلُ الْإِدْرَاكِ وَالْمَعْرِفَةِ بِرَبِّنَا وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ ابْتِدَاءً عَلَى هَذَا النَّحْوِ حَتَّى يُخْبِرَنَا الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ، فَمَا أَخْبَرَنَا بِهِ اللَّهُ عَنْ نَفْسِهِ أَوْ أَخْبَرَنَا بِهِ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ عَنْهُ فَهَذَا نَتَوَقَّفُ عِنْدَ حَدِّهِ.

الْعَقْلُ لَا يَدْخُلُ هَاهُنَا.

الْعَقْلُ يُمَكِّنُ أَنْ يَسْتَدِلَّ اسْتِدْلَالًا كُلِّيًّا، وَيُمَكِّنُ أَنْ يَسْتَدِلَّ عَلَى بَعْضِ الْأُمُورِ الْفَرَعِيَّةِ الْمَبْنِيَّةِ عَلَى هَذَا الْأَصْلِ.

يَعْنِي الْعَقْلُ يُمَكِّنُ أَنْ يَسْتَدِلَّ عَلَى وُجُودِ خَالِقٍ لِهَذَا الْكَوْنِ، وَصَانِعٍ لَهُ،

وَلَكِنَّ الْعَقْلَ لَا يُمَكِّنُ بِحَالٍ أَنْ يُحَدِّدَ صِفَاتِ هَذَا الْخَالِقِ تَحْدِيدًا، وَلَا أَنْ يَعْلَمَ الْحِكْمَةَ الَّتِي مِنْ وَرَائِهَا خَلَقَ هَذَا الْخَلْقَ الَّذِي بُنِيَ عَلَى الْحِكْمَةِ فِيمَا يُثَبِّتُهُ الْعَقْلُ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَوْ نَظَرَ نَظْرًا عَقْلِيًّا لَأَسْتَدَلَّ بِالصَّنْعَةِ عَلَى الصَّانِعِ، وَالْأَصْلُ فِي الشَّرْعِ أَنْ تَسْتَدِلَّ بِالصَّانِعِ عَلَى الصَّنْعَةِ، وَلَكِنْ مَعَ أَهْلِ الْإِسْتِدْلَالِ الْعَقْلِيِّ نَسِيرُ.

لَوْ أَنَّهُمْ أَعْمَلُوا عُقُولَهُمْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَقَالُوا: لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُوجَدَ مُوجِدٌ مِنْ غَيْرِ مُوجِدٍ، وَلَا صَنْعَةٌ مِنْ غَيْرِ صَانِعٍ، وَلَا مَعْلُولٌ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ، وَلَا مُسَبَّبٌ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ.

فَهَذَا كُلُّهُ نَقْرُهُ، نَعَمْ، لَا يُوجَدُ.

إِذَنْ: لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ هُنَالِكَ لِهَذَا الْكَوْنِ صَانِعٌ، وَوُجُوهُ الْحِكْمَةِ الْمُتَبَدِّلَةِ فِيهِ لَا تَخْفَى عَلَى نَاطِقٍ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ عَلِيمًا، وَأَنْ يَكُونَ حَكِيمًا، وَأَنْ يَكُونَ مُرِيدًا لِتَنُوعِ أَصْنَافِ الْخَلْقِ، فَهَذَا نَقْرُهُ أَيْضًا.

وَهُمْ يَسْتَدِلُّونَ بِهِ عَلَى بَعْضِ صِفَاتِ الرَّبِّ جَلَّوَعَلَا يَقُولُونَ: لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مُوجِدًا؛ لِأَنَّ الْمَعْدُومَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُعْطِيَ الْوُجُودَ، وَهُوَ فَاقِدُهُ!!

فَهُمْ يَسْتَدِلُّونَ عَلَى وُجُودِ اللَّهِ بِالْمَوْجُودَاتِ، وَيَسْتَدِلُّونَ عَلَى الْإِرَادَةِ -صِفَةِ الْإِرَادَةِ خَاصَّةً لِلَّهِ جَلَّوَعَلَا أَيْضًا- بِمَا فِي الْوُجُودِ مِنْ تَنُوعِ أَصْنَافِ الْمَخْلُوقَاتِ؛ لِأَنَّ الْإِرَادَةَ هِيَ تَخْصِيصُ الْمُمَكِّنِ بِبَعْضِ وَجْهِهِ إِمْكَانِهِ، يَعْنِي الْمَخْلُوقُ يُمَكِّنُ

أَنْ يَكُونَ كَذَا وَكَذَا وَكَذَا.

فَإِذَا وُجِدَ عَلَى صِفَةٍ مِنَ الصِّفَاتِ، فَإِنَّهُ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ عَلَى صِفَةٍ كَذَا وَكَذَا وَكَذَا.

يَعْنِي الْإِنْسَانُ -مَثَلًا- يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ ذَكَرًا، وَيُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ أُنْثَى، وَيُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ خُنْثَى، وَيُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ خُنْثَى مُشْكِلاً، وَيُمَكِّنُ أَنْ يَقَعَ فِي خَلْقِهِ مَا لَا يُعَدُّ بِهِ مِنَ الْإِنْسَانِيِّ أَصْلًا، فَهَذِهِ كُلُّهَا مِنْ وَسَائِلِ التَّنَوُّعِ فِي الْخَلْقِ تَحْتَاجُ إِلَى اخْتِيَارٍ.

الْإِرَادَةُ أَنْ يُخَصِّصَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هَذَا الْخَلْقَ بِكَذَا سَمَاءً.. أَرْضٍ.. جِبَالًا.. بَحَارًا.. أَنْهَارًا.. حَشَرَاتٍ.. حَيَوَانَاتٍ.. نَبَاتَاتٍ.. أَسْمَاكٍ.. جِنَّ.. إِنْسٍ.. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، فَيُخَصِّصُ هَذَا ﷻ فِي الْوُجُودِ بِصُورَةٍ مِنْ صُورِهِ الْمُمَكِّنَةِ، ثُمَّ إِذَا مَا خُصِّصَ كَانَتْ لَهُ صِفَتُهُ، فَتَجِدُ الْإِنْسَانَ -مَثَلًا- لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَتَطَابَقَ مِنْ أَفْرَادِهِ اثْنَانِ، لَا فِي الْأَنَامِلِ، وَلَا فِي بَصْمَةِ الصَّوْتِ، وَلَا فِي بَصْمَةِ الْعَيْنِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِمَّا لَمْ يَعْلَمَهُ النَّاسُ بَعْدُ.

فَتَخْصِيصُ الْإِنْسَانِ بِهَذِهِ الصِّفَةِ عَلَى هَذَا النَّحْوِ يَدُلُّ عَلَى صِفَةِ الْإِرَادَةِ.

الَّذِينَ أَنْكَرُوا صِفَاتِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يُنْكِرُوا صِفَةَ الْإِرَادَةِ؛ لِأَنَّ الْحُجَّةَ قَائِمَةً عَلَيْهِمْ، الْعَقْلُ يَدْمَغُهُمْ، وَهُمْ إِلَيْهِ يَفْزَعُونَ، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ: إِذَنْ أَنْتُمْ لَا بُدَّ أَنْ تُثْبِتُوا صِفَةَ الْإِرَادَةِ.

فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، وَنُنْكِرُ سَائِرَ الصِّفَاتِ، فَلَا نُثْبِتُهَا لِرَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ؛
لَأَنَّا إِذَا أَثْبَتْنَا الصِّفَةَ لِلَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ شَبَّهْنَاهُ بِخَلْقِهِ، يَعْنِي إِذَا قُلْنَا: اللَّهُ قَوِيٌّ
فَشَبَّهْنَاهُ بِخَلْقِهِ فَمِنْ خَلْقِهِ مَنْ هُوَ قَوِيٌّ وَمَا هُوَ قَوِيٌّ، وَإِذَا قُلْنَا: عَلِيمٌ فَفِي الْبَشَرِ
عَلِيمٌ، حَكِيمٌ فَفِي الْبَشَرِ حَكِيمٌ!

إِذَنْ يُنْكِرُونَ الصِّفَاتِ؛ لِيَفِرُّوا مِنْ تَشْبِيهِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْمَخْلُوقَاتِ.
فَيَقَالُ لَهُمْ: أَنْتُمْ -إِذَنْ- شَبَّهْتُمْ عِنْدَمَا أَثْبَتْتُمْ لِلَّهِ صِفَةَ الْإِرَادَةِ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ
تُنْكِرُوهَا، لَوْ أَنْكَرْتُمُوهَا لَمَا كُنْتُمْ مِنَ الْعُقَلَاءِ.

فَيَقُولُونَ: لَا بُدَّ مِنْ إِثْبَاتِهَا.
فَنَقُولُ لَهُمْ كَمَا قَالَ أَهْلُ السُّنَّةِ مِنْ عُلَمَائِنَا: إِذَنْ أَنْتُمْ وَقَعْتُمْ فِي التَّشْبِيهِ أَيْضًا،
كَمَا اتَّهَمْتُمْ بِهِ خُصُومَكُمْ.
فَيَقُولُونَ: كَيْفَ؟

نَقُولُ: لِأَنَّ اللَّهَ ﷻ نَفْسُهُ فِي الْقُرْآنِ أَثْبَتَ صِفَةَ الْإِرَادَةِ حَتَّى لِلْجَمَادِ!
فَقَالَ عَنِ الْجِدَارِ: ﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ...﴾ [الكهف: ٧٧].
فَأَثْبَتَ الْإِرَادَةَ، وَأَثْبَتَ الْإِرَادَةَ لِلْإِنْسَانِ، فَأَثْبَتَ الْإِرَادَةَ لِبَعْضِ مَخْلُوقَاتِهِ؛
فَإِذَنْ أَنْتُمْ شَبَّهْتُمْ.

فَيَقُولُونَ: لَا لَمْ نُشَبِّهِ.

قَالَ أَهْلُ السُّنَّةِ: كَيْفَ، وَأَنْتُمْ وَقَعْتُمْ فِيمَا اتَّهَمْتُمْ بِهِ خُصُومَكُمْ؟

قَالُوا: إِنَّمَا نُبَيِّنُ لِلَّهِ صِفَةَ الْإِرَادَةِ لَا عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يُشَبِّهُ إِرَادَةَ الْمَخْلُوقِينَ.

قَالَ أَهْلُ السُّنَّةِ: حَسَنٌ!! نَحْنُ نُبَيِّنُ لِلَّهِ سَائِرَ الصِّفَاتِ لَا عَلَى النَّحْوِ الَّذِي يُبَيَّنُ لِلْمَخْلُوقِينَ.

فَكَانَ مَاذَا؟

تَنَاقُضٌ عَقْلِيٌّ!!

الَّذِي أَوْقَعَ الْقَوْمَ فِيمَا وَقَعُوا فِيهِ: أَنَّهُمْ أَذْخَلُوا الْعَقْلَ فِي غَيْرِ مَجَالِهِ، نَحْنُ نَتَوَقَّفُ عِنْدَ حُدُودِ مَا أَخْبَرَنَا اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ أَوْ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ.

فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ الْأَمْرِ تَوْقِيفِيٌّ، لَا نَصِفُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِصِفَةٍ لَمْ يَصِفْ بِهَا نَفْسَهُ وَلَمْ يَصِفْ بِهَا رَسُولُهُ ﷺ، وَلَا نُسَمِّي اللَّهَ ﷻ بِاسْمٍ لَمْ يُسَمِّ بِهِ نَفْسَهُ وَلَمْ يُسَمِّ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ، بَلْ نَتَوَقَّفُ عِنْدَ حُدُودِ مَا ثَبَتَ.



عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ

الْآيَاتُ الَّتِي تَكَلَّمَ اللَّهُ ﷻ فِيهَا عَنْ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ كَثِيرَةٌ جِدًّا فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ، وَالْآيَاتُ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالْأَحْكَامِ: كَالطَّهَارَةِ، وَالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، وَسَائِرِ الْأَحْكَامِ كَثِيرَةٌ أَيْضًا فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ.

فَأَهْلُ التَّعْطِيلِ وَالتَّأْوِيلِ وَالْجَهْلِ هَؤُلَاءِ جَعَلُوا آيَاتِ الصِّفَاتِ وَأَحَادِيثَ الصِّفَاتِ نَاحِيَةً؛ قَالُوا: هَذِهِ لَا نَفْهَمُهَا، وَأَمَّا آيَاتُ الْأَحْكَامِ فَهُمْ يَفْهَمُونَهَا فَهَمًّا دَقِيقًا، وَيَبْحَثُونَهَا بَحْثًا مُغْرِقًا، وَيَقُولُونَ: هَذِهِ نَفْهَمُهَا، وَهَذِهِ لَا نَفْهَمُهَا!

فَيُقَالُ: سُبْحَانَ اللَّهِ!!

مَا وَرَدَ مِنْ نُصُوصِ الصِّفَاتِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِرَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ لَا تَفْهَمُونَهُ، وَتَفْهَمُونَ أَحْكَامَهُ؟!

جَعَلَ مَا يَتَعَلَّقُ بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ مُغْلَقًا عَلَى الْعُقُولِ، فَلَا يَفْهَمُهُ بَشَرٌ، وَأَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِالْأَحْكَامِ فَهُوَ مَفْهُومٌ؟!

ثُمَّ إِنَّكُمْ بِذَلِكَ تَتَهَمُونَ الرَّسُولَ ﷺ تَهْمَةً شَنِيعَةً؛ لِأَنَّكُمْ تَتَهَمُونَ النَّبِيَّ ﷺ بِأَنَّهُ لَمْ يَفْهَمْ آيَاتِ الصِّفَاتِ، فَلَمْ يَفْهَمْ صِفَاتِ رَبِّهِ، وَلَمْ يُشَبِّهْ لَهُ.

هَذَا يَقُولُهُ مُسْلِمٌ؟!

بَلْ هَذَا يَقُولُهُ عَاقِلٌ؟!

وَأَيْضًا تَتَهَمُونَ الصَّحَابَةَ بِأَنَّهُمْ لَمْ يَفْهَمُوا الْكِتَابَ وَلَمْ يَفْهَمُوا السُّنَّةَ، وَظَلَّ هَذَا لَا يُعْلَنُ عَنْهُ حَتَّى جِئْتُمْ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُبْتَدِعَةُ، فَقَرَّرْتُمْ أَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ، وَهَذِهِ الْأَحَادِيثَ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالصِّفَاتِ، وَهِيَ أَشْرَفُ شَيْءٍ قَطُّ، وَمُتَعَلِّقَةٌ بِأَشْرَفِ مَوْجُودٍ، وَبِأَشْرَفِ مَوْضُوعٍ بِاللَّهِ وَبِصِفَاتِهِ، وَبِأَسْمَائِهِ! يَقُولُونَ: هَذَا مُغْلَقٌ عَلَى الْعَقْلِ لَا نَفْهَمُهُ.

حَتَّى إِنَّهُ بَغَتْ مِنْهُمْ نَابِغَةٌ فَقَالُوا: مَا دُمْنَا لَا نَفْهَمُهُ، فَكَيْفَ نَتَعَامَلُ مَعَهُ؟
قَالُوا: نَفَوِّضُهُ.. نَفَوِّضُهُ مَعْنَى وَمَبْنَى، فنَقُولُ: لَا نَفْهَمُ حَتَّى النَّصِّ.
يَعْنِي إِذَا قِيلَ لَهُمْ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

اسْتَوَى لَهَا مَعْنَى.

يَقُولُونَ: لَا.. نَفَوِّضُ الْمَعْنَى.

إِذَنْ، هَذَا كَلَامٌ أَعْجَمِيٌّ، لَيْسَ بِكَلَامٍ عَرَبِيٍّ، لَيْسَ لَهُ مَعْنَى وَضِعَ فِي كِتَابٍ، أَوْ نَزَلَ بِهِ الْوَحْيُ ثُمَّ هُوَ فِي النَّهَايَةِ لَا يَفْهَمُهُ مَنْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ.
فَيَقَالُ: مَا الْحِكْمَةُ؟

قَالُوا شَيْئًا يُضْحِكُ الشَّكْلَى؛ قَالُوا: إِنَّ الْحِكْمَةَ مِنْ وُجُودِ هَذِهِ النُّصُوصِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِصِفَاتِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَعَ أَنَّهَا غَيْرُ مَفْهُومَةٍ؛ حَتَّى يَخْتَبِرَ اللَّهُ وَيَمْتَحِنَ

الْخَلْقَ فِي أَنَّهُمْ لَا يَعْمَلُونَ عُقُولَهُمْ؛ إِذَا أَعْمَلُوهَا هَلَكُوا، إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَفْهَمُوا
النُّصُوصَ عَلَى حَسَبِ مَا نَزَلَتْ بِهِ مِنَ اللُّغَةِ؛ لِأَنَّ هَذَا يَكُونُ عَبَثًا يَنْتَزَهُ اللَّهُ عَنْهُ،
وَيَنْتَزَهُ عَنْهُ كِتَابُهُ وَوَحْيُهُ، أَنْ يُقَالَ: أُنْزِلَ الْقُرْآنُ بِالْعَرَبِيَّةِ مُغْلَقًا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِصِفَاتِهِ،
النَّاسُ لَنْ يَفْهَمُوهُ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ مَعْنَى.

يَقُولُونَ: نَفُوضُ الْمَعْنَى؛ مَعْنَاهُ عِنْدَ اللَّهِ، وَحَقِيقَتُهُ وَكَيْفِيَّتُهُ عِنْدَ اللَّهِ فَالْمَعْنَى
عِنْدَ اللَّهِ. إِذَنْ: هُوَ لَيْسَ لَهُ مَعْنَى عِنْدَنَا، فَأَنْزَلَ عَلَيْنَا نُصُوصًا لَيْسَ لَهَا مَعْنَى عِنْدَنَا!

مَا الْحِكْمَةُ؟

قَالُوا: لِيَخْتَبِرَنَا إِنْ جَعَلَ لَهَا مَعْنَى هَلَكْنَا...!

هَذَا كَلَامٌ؟

هَذَا يَقُولُ بِهِ عَاقِلٌ، فَضْلًا عَنْ مُسْلِمٍ، فَضْلًا عَنْ مُنْزِهِ كَمَا يَدَّعُونَ وَيَتَّهِمُونَ
أَهْلَ السُّنَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ بِأَنَّهُمْ مُجَسِّمَةٌ؛ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: لَهُ
مَعْنَى، وَلَكِنَّ الْكَيْفِيَّةَ مُفَوَّضَةٌ إِلَى اللَّهِ؟!

وَهَذَا أَمْرٌ تَجْرِي عَلَيْهِ قَوَاعِدُ اللُّغَةِ فِي كُلِّ الْعَالَمِ، فِي كُلِّ لُغَةٍ.

لَهُ مَعْنَى وَيَفْهَمُ الْمَعْنَى مِنْ سِيَاقِهِ، فَإِذَا كَانَ الْمَوْصُوفُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ،
فَلَا شَكَّ أَنَّ الصِّفَةَ تَكُونُ لَيْسَ كَمِثْلِهَا صِفَةً.

هَذَا هُوَ الْعَقْلُ إِلَيْهِ يَحْتَكِمُونَ.

إِذَا قِيلَ: يَدُ النَّمْلَةِ، وَيَدُ الْفِيلِ أَجْعَلْتَ الْيَدَ كَالْيَدِ؟

هَذِهِ يَدٌ وَهَذِهِ يَدٌ.

اللَّهُ ﷻ تَكَلَّمَ عَنِ اسْتِوَاءٍ لِبَعْضِ مَخْلُوقَاتِهِ، وَنَسَبَ الْإِسْتِوَاءَ لِنَفْسِهِ صِرَاحَةً فِي سَبْعَةِ مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِهِ جَلَّ وَعَلَا صَرِيحَةً أَنَّهُ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ.

فَيُقَالُ: مَنْ الَّذِي اسْتَوَى؟

الله... الله لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.

إِذَنْ اسْتِوَأُوهُ عَلَى قَدْرِ ذَاتِهِ، وَذَاتُهُ لَيْسَ كَمِثْلِهَا ذَاتٌ، فَاسْتِوَأُوهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ اسْتِوَاءٌ؛ هَذَا مُقْتَضَى الْعَقْلِ، فَضْلاً عَنِ النُّقْلِ.

إِذَنْ الْمُسْكِلَةُ أَنْ تَتَكَلَّمَ فِيمَا لَا يَعْنِيكَ، أَوْ أَنْ تَتَكَلَّمَ فِيمَا لَا تُحْسِنُهُ، وَأَنْ تَعْمَلَ الْعَقْلَ فِي غَيْرِ مَجَالِهِ، وَهَذَا مَا لَمْ يَأْتِ بِهِ الدِّينُ، بَلْ جَاءَ بِضِدِّهِ؛ لِذَلِكَ كَانَ الْعُلَمَاءُ -رَحِمَهُمُ اللَّهُ- مُشَخِّصِينَ لِأَصْلِ الدَّاءِ، ثُمَّ وَصَفَ الدَّوَاءَ سَهْلاً.

الْمُسْكِلَةُ فِي تَشْخِيسِ الدَّاءِ، لَا فِي وَصْفِ الدَّوَاءِ؛ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ إِذَا وَصَفَ لَهُمْ دَاءٌ قَالُوا: عِلَاجُهُ كَذَا وَكَذَا، وَلَيْسُوا أَصْلًا مِنَ الْمُشْتَغِلِينَ بِالصَّنْعَةِ، وَلَكِنَّ الْمُسْكِلَةَ فِي التَّشْخِيسِ، وَفِي الْوَصْفِ أَيْضًا لِلدَّوَاءِ؛ لِأَنَّ الَّذِي يَصِفُ الدَّوَاءَ وَهُوَ غَيْرُ مُخْتَصٍّ بِالْمَجَالِ وَلَا مِنْ أَهْلِ الصَّنْعَةِ هَذَا مُسِيءٌ، وَرُبَّمَا أَذَى إِلَى قَتْلِ مَنْ يَصِفُ لَهُ مَا وَصَفَ.

الْمُهْمُ أَنَّ الْعُلَمَاءَ -رَحِمَهُمُ اللَّهُ- كَانُوا وَاعِينَ شَخْصُوا الْمَسْأَلَةَ مِنَ الْبِدَايَةِ، وَمَضَى تَيَّارُهُمْ -رَحِمَهُمُ اللَّهُ- فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ الْعِلْمِيَّةِ مُتَجِدِّدًا فِي الْعَقَائِدِ بِالنَّظْمِ وَالشَّرِّ، وَالشَّرْحِ وَالِاخْتِصَارِ، بِالْإِسْهَابِ وَبِالِإِيجَازِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ فِي عَقِيدَةٍ وَاحِدَةٍ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَجَمِيعُ آيَاتِ الصِّفَاتِ أَمْرُهَا حَقًّا كَمَا نَقَلَ الطَّرَازُ الْأَوَّلُ

أَنْقَلَهَا كَمَا وَرَدَتْ لَا يَسْعُنِي أَنْ أَرُدَّ.

وَأَرَدْتُ عُهْدَتَهَا إِلَى نُقَالِهَا وَأَصُونُهَا عَنْ كُلِّ مَا يُتَخَيَّلُ

يَعْنِي أَسِيرُ فِي آيَاتِ الصِّفَاتِ عَلَى مَنْهَجِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَعَلَى مُعْتَقَدِ الَّذِينَ نَقَلُوهَا مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ وَلَا تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ.

إِذَنْ يُثْبِتُونَ مَا وَرَدَ بِهِ النَّصُّ، جَمِيعَ مَا وَرَدَتْ بِهِ النُّصُوصُ هُمْ يُثْبِتُونَهُ عَلَى قَوَاعِدِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

وَجَمِيعُ آيَاتِ الصِّفَاتِ أَمْرُهَا: لَا يُثْبِتُونَ سَبْعَ صِفَاتٍ، وَيُنْكِرُونَ الْبَاقِي، وَلَا يَتَنَاقِضُونَ.

فَالْقَوْلُ فِي بَعْضِ الصِّفَاتِ كَالْقَوْلِ فِي سَائِرِ الصِّفَاتِ؛ كَمَا مَرَّ فِي الْإِرَادَةِ أَنْتُمْ تُثْبِتُونَهَا وَتَقُولُونَ: إِرَادَةٌ لَيْسَتْ كِإِرَادَةِ الْمَخْلُوقِ.

فَنَقُولُ: سَمِعَ لَا كَسَمِعِ الْمَخْلُوقِ، بَصَرَ لَا كَبَصَرِ الْمَخْلُوقِ، نُزُولَ لَا كَنُزُولِ الْمَخْلُوقِ، اسْتِواءَ لَا كَاسْتِواءِ الْمَخْلُوقِ.



مِنْ قَوَاعِدِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الصِّفَاتِ

فَالْقَوْلُ فِي صِفَةٍ مِنَ الصِّفَاتِ كَالْقَوْلِ فِي سَائِرِ الصِّفَاتِ.

هَذِهِ قَاعِدَةٌ مِنْ قَوَاعِدِ الصِّفَاتِ قَرَّرَهَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ فِي «التَّدْمِيرِيَّةِ»

الْقَوْلُ فِي صِفَةٍ مِنَ الصِّفَاتِ كَالْقَوْلِ فِي سَائِرِ الصِّفَاتِ.

وَالصِّفَاتُ عَلَى قَدْرِ الذَّوَاتِ. قَاعِدَةٌ أُخْرَى.

جَاءَتْ أَدِلَّةُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ لِإِبْثَاتِ صِفَاتِ الْبَارِي جَلَّ وَعَلَا، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ مُتَّصِفٌ بِالْكَمَالِ الْمُقَدَّسِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ.

وَجَمِيعُ آيَاتِ الصِّفَاتِ أَمْرُهَا: حَقًّا عَلَى حَقِيقَتِهَا، لَا مَجَازَ فِيهَا كَمَا يَقُولُ الْمُبْتَدِعَةُ

كَمَا نَقَلَ الطَّرَازُ الْأَوَّلُ: يُرِيدُ الصَّحَابَةُ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ، وَاتَّبَعَ سَبِيلَهُمْ بِإِحْسَانٍ.

وَلَيْسَ فِي هَذَا الْقَوْلِ مِنْهُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَفْوِيضٌ، التَّفْوِيضُ إِنَّمَا هُوَ لِلْكِيفِيَّةِ؛ يَعْنِي عِنْدَمَا تَقُولُ: يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فِي الثُّلُثِ الْأَخِيرِ مِنَ اللَّيْلِ - كَمَا فِي الْحَدِيثِ الْمُتَوَاتِرِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فَأَنْتَ أَثْبَتَ صِفَةَ النُّزُولِ لِلْبَارِي جَلَّ وَعَلَا،

وَلَكِنْ يَقُولُ: أَفَهُمُ النُّزُولَ كَمَا نَطَقَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، وَلَمْ يُلْغِزْ، لَمْ يَأْتِ بِلُغْزٍ وَلَا بِأَحَاجِيٍّ، وَإِنَّمَا أَتَى بِكَلَامٍ وَاضِحٍ.

يَقُولُ: يَنْزِلُ رَبُّكُمْ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، وَيُكَلِّمُ الْأُمَّةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.. لَا يُكَلِّمُ الصَّحَابَةَ وَحَدَهُمْ، وَلَا يُكَلِّمُ وَاحِدًا بَعِيْنَهُ، وَإِنَّمَا يَقُولُ: يَنْزِلُ رَبُّكُمْ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، فَفَنَهُمُ النُّزُولَ، وَلَكِنْ عِنْدَمَا يُوصَفُ بِهِ الْبَارِي جَلَّ وَعَلَا فَيَكُونُ عَلَى قَدْرِ ذَاتِهِ، لَا ثِقًا بِذَاتِهِ، وَاللَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، فَتَزُولُهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ نَزُولٌ، وَقَسَّ عَلَى هَذَا فِي سَائِرِ النَّظَائِرِ، كَمَا قَالَ مَالِكٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِلَّذِي سَأَلَهُ عَنِ الْإِسْتِوَاءِ قَالَ: الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، -وَانْظُرْ إِلَى صِيغَةِ السُّؤَالِ- قَالَ: كَيْفَ اسْتَوَى؟

فَاضْطَرَبَ مَالِكٌ جِدًّا، وَعَلَّتَهُ الرُّحْضَاءُ، وَأَخَذَ يَرْتَعِدُ وَيَتَصَبَّبُ عَرَقًا، ثُمَّ قَالَ: الْإِسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ -الْإِسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ لُغَةً كَمَا خَاطَبَنَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهِ فِي الْقُرْآنِ، فَالْإِسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ-، وَالْكَيفُ مَجْهُولٌ.

يَعْنِي عِنْدَمَا يُسْنَدُ الْإِسْتِوَاءُ إِلَى الْبَارِي جَلَّ وَعَلَا فَاسْتَوَاهُ عَلَى قَدْرِ ذَاتِهِ، وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ شَيْئًا عَنْ ذَاتِهِ، إِذَنْ نَحْنُ نَجْعَلُ اسْتِوَاءَهُ كَذَاتِهِ، نُنْبِتُ الذَّاتَ وَلَا نَعْلَمُهَا.. لَا نَعْلَمُ كَيْفِيَّتَهَا، وَنُنْبِتُ الْإِسْتِوَاءَ وَلَا نَعْلَمُ كَيْفِيَّتَهُ، كَالْقَوْلِ فِي الذَّاتِ.

الْقَوْلُ فِي الصِّفَاتِ كَالْقَوْلِ فِي الذَّاتِ، وَهِيَ مِنْ قَوَاعِدِ التَّدْمِيرِيَّةِ أَيْضًا حَاوِلْ أَنْ تَقْرَأَ (التَّدْمِيرِيَّةَ)، أَوْ تَسْمَعْ شَرْحًا لَهَا؛ فِيهَا خَيْرٌ كَبِيرٌ.

فَأَيْضًا هُنَا عِنْدَمَا نَنْظُرُ فِي الْقَوْلِ فِي الصِّفَاتِ نَجِدُهُ كَالْقَوْلِ فِي الذَّاتِ.

يَعْنِي يُقَالُ لِلَّذِينَ يُنْكِرُونَ الصِّفَاتِ: أَنْتُمْ تُثْبِتُونَ ذَاتَ الْبَارِي جَلَّ وَعَلَا؟
فَيَقُولُونَ: نَعَمْ.

لَوْ قَالُوا: لَا، فَلَيْسَ لَنَا مَعَهُمْ كَلَامٌ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يُثْبِتُونَ إِلَهًا مَوْجُودًا، فَإِذَا قُلْنَا
لَهُمْ يَا مُنْكَرِي الصِّفَاتِ، يَا مُؤَوِّلَهُ، يَا جَهْلَهُ هَلْ تُثْبِتُونَ الذَّاتَ؟
فَإِذَا قَالُوا: نَعَمْ مَضَيْنَا مَعَهُمْ فِي الْكَلَامِ.

إِذَا قَالُوا: لَا نُثْبِتُ الذَّاتَ. فَلَا كَلَامَ لَنَا مَعَهُمْ؛ هَؤُلَاءِ مُلْحِدُونَ، وَأَمَّا إِذَا
أَثْبَتُوا الذَّاتَ؛ فَقَدْ شَبَّهْتُمْ -عَلَى قَاعِدَتِكُمْ- يَقُولُونَ: كَيْفَ؟
فَنَقُولُ: أَنْتُمْ أَثْبَتْتُمْ ذَاتًا لَهَا وُجُودٌ، وَالْمَخْلُوقَاتُ ذَوَاتٌ لَهَا وُجُودٌ، فَأَنْتُمْ
شَبَّهْتُمْ الْبَارِي بِخَلْقِهِ يَقُولُونَ: لَا؛ ذَاتٌ لَيْسَ كَمِثْلِهَا ذَاتٌ.

نَقُولُ: وَصِفَاتٌ لَيْسَ كَمِثْلِهَا صِفَاتٌ!!

أَفَيْقُوا!!

إِذَنْ: الْأَمْرُ قَرِيبٌ كَمَا تَرَى يَفْهَمُهُ الرَّجُلُ الْعَامِّيُّ الَّذِي لَا عِلَاقَةَ لَهُ
بِالْعِلْمِ، وَلَمْ يَنْ رُكِبَتْهُ فِي مَجَالِسِ التَّعَلُّمِ، يَفْهَمُهُ كُلُّ صَاحِبِ عَقْلٍ مَهْمَا
كَانَ عَقْلُهُ ضَعِيفًا.

الْقَوْلُ فِي الصِّفَاتِ كَالْقَوْلِ فِي الذَّاتِ وَإِلَّا تَنَاقَضْتُمْ، تُثْبِتُونَ الذَّاتَ؟

يَقُولُونَ: نَعَمْ!

مَوْجُودَةٌ؟

يَقُولُونَ: مَوْجُودَةٌ!

نَقُولُ: شَبَّهْتُمْ - عَلَى قَاعِدَتِكُمْ -؛ لِأَنَّ الْمَخْلُوقَاتِ لَهَا ذَوَاتٌ مَوْجُودَةٌ، وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ: اللَّهُ لَهُ ذَاتٌ مَوْجُودَةٌ، إِذَنْ: شَبَّهْتُمْ الْخَالِقَ بِالْمَخْلُوقِ - عَلَى قَاعِدَتِكُمْ -.

فَإِنْ قَالُوا: لَا، نُثَبِّتُ ذَاتًا لَيْسَ كَمِثْلِهَا ذَاتٌ.

نَقُولُ: وَنُثَبِّتُ صِفَاتٍ لَيْسَ كَمِثْلِهَا صِفَاتٌ.

وَلَكِنَّ الْخَلَلَ دَخَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ أَنْكُمْ لَا ذَائِقَةَ عِنْدَكُمْ فِي اللُّغَةِ، وَلَا إِحْسَاسَ لَكُمْ بِهَا، الصِّفَاتُ عَلَى قَدْرِ الذَّاتِ يَا قَوْمُ!

الصِّفَةُ عَلَى قَدْرِ الْمَوْصُوفِ، لَيْسَتْ يَدُ النَّمْلَةِ كَيَدِ الْفِيلِ، وَهِيَ يَدٌ وَيَدٌ، وَلَكِنْ لَمَّا وُصِفَتِ النَّمْلَةُ بِيَدِهَا كَانَتْ الْيَدُ لَهَا عَلَى قَدْرِ ذَاتِهَا، وَلَمَّا وُصِفَ الْفِيلُ بِيَدِهِ كَانَتْ الْيَدُ لِلْفِيلِ عَلَى قَدْرِ ذَاتِهِ.

مَا الْمُشْكِلُ؟

حَقًّا كَمَا نَقَلَ الطَّرَازُ الْأَوَّلُ

وَجَمِيعُ آيَاتِ الصِّفَاتِ أَمْرُهَا

وَأَصَوْنُهَا عَنْ كُلِّ مَا يُتَخَيَّلُ

وَأَرَدُّ عَهْدَتَهَا إِلَى نِقَالِهَا

أَرَدُّ تَبَعَاتِ إِبْطَاتِ الصِّفَاتِ إِلَى الَّذِينَ نَقَلُوهَا لَنَا، وَهُمْ أَعْرَفُ بِمُرَادِ اللَّهِ وَبِمُرَادِ رَسُولِهِ ﷺ.

الْقَوْمُ لَا يُكَذِّبُونَ النَّاقِلِينَ، لَمْ يُكَذِّبُوا الصَّحَابَةَ فِي حَدِيثِ النُّزُولِ مَثَلًا، وَإِنَّمَا قَاعِدَتُهُمْ عِنْدَ التَّعَامُلِ مَعَ النُّصُوصِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالصِّفَاتِ: بِأَنَّهُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا أَنْ يُكَذِّبُوهَا كَذَّبُوهَا، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِيعُوا -نُصُوصٌ فِي الْقُرْآنِ.. نُصُوصٌ فِي السُّنَّةِ- لَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا، وَإِلَّا لَمَا كَانُوا مَنْسُوبِينَ إِلَى الْعِلْمِ أَصْلًا.

إِذَنْ: هُمْ يُثَبِّتُونَهَا، فَمَاذَا يَصْنَعُونَ فِيَمَا لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرُدُّوهُ وَلَا أَنْ يُزَيِّقُوهُ؟

يُؤَوَّلُونَهُ أَيْ: يُحَرِّفُونَهُ.

وَنَحْنُ نَقُولُ: الَّذِي جَاءَنَا مَنْقُولًا عَنِ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ نَرُدُّ عَهْدَتَهُ إِلَى نَقَالِهِ عَلَى حَسَبِ الْعِلْمِ وَقَوَاعِيدِهِ، نَطَقَ بِهِ الصَّحَابَةُ وَمَنْ بَعْدَهُمْ، وَنَقْلُوهُ، فَإِذَنْ: ثُبُتَ الْأَلْفَاظُ وَالْمَعَانِي اللَّيْقَةُ بِاللَّهِ عَنِ التَّمْثِيلِ وَالتَّشْبِيهِ، وَعَنِ التَّكْيِيفِ.

وَأَصُونُهَا عَنْ كُلِّ مَا يُتَخَيَّلُ

.....

كَمَا سَيَأْتِي..

هُمْ يَقْرُونَ مِنْ شَيْءٍ وَقَعُوا فِيهِ، وَيَتَّهِمُونَ مَنْ لَمْ يَقَعْ فِيهِ بِأَنَّهُ وَقَعَ فِيهِ؛ يَعْنِي يَقُولُونَ: مُشَبَّهَةٌ؛ لِأَنَّا نَثَبِتُ لِلَّهِ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ عَلَى النَّحْوِ اللَّيْقِ بِهِ، وَنَقُولُ: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَصِفَاتُهُ لَيْسَ كَمِثْلِهَا صِفَاتٌ، كَمَا أَنَّ ذَاتَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهَا ذَاتٌ، هَذَا مَا نَقُولُ.

يَقُولُونَ: شَبَّهْتُمْ.. شَبَّهْنَا؛ لِأَنَّا أَثْبَتْنَا مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ؟

أَنْتُمْ مَاذَا صَنَعْتُمْ؟

قَالُوا: لَا.. أَوْلَانَا؛ لِأَنَّا لَوْ أَثْبَتْنَا لَشَبَّهْنَا.

فَنَقُولُ: أَنْتُمْ شَبَّهْتُمْ أَوَّلًا، فَأَرَدْتُمْ أَنْ تَفِرُّوا مِنَ الشَّيْبَةِ فَحَرَفْتُمْ.

لَمَّا سَمِعْتُمْ النَّصَّ ضَاقَتْ عُقُولُكُمْ عَنِ الْغَرِيزَةِ اللَّغَوِيَّةِ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ فِي كُلِّ نَاطِقٍ بِلِسَانٍ، ضَاقَتْ عُقُولُكُمْ عَنِ الْفَهْمِ فَقُلْتُمْ: إِذَا أَثْبَتْنَا لِلَّهِ اسْتِواءً - مَثَلًا - فَقَدْ شَبَّهْنَا اللَّهَ بِخَلْقِهِ فَشَبَّهُوا، ثُمَّ أَرَادُوا أَنْ يَفِرُّوا مِمَّا وَقَعُوا فِيهِ مِنَ الشَّيْبَةِ فَقَالُوا: لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ مَعْنَى سِوَى مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ النَّصِّ.

لِمَاذَا تَصَرَّفَ النَّصُّ عَنْ ظَاهِرِهِ بِلاَ مُوجِبٍ؟

قَالُوا: لِأَنَّا لَوْ أَخَذْنَا النَّصَّ عَلَى ظَاهِرِهِ لَشَبَّهْنَا.

فَنَقُولُ لَهُمْ: قُلْتُمْ قَوْلَةً كَبِيرَةً جِدًّا، لَوْ أَنَّكُمْ تَفْهَمُونَ حَقِيقَتَهَا لَخَرَجْتُمْ.

أَنْتُمْ تَقُولُونَ: إِنَّ ظَوَاهِرَ النُّصُوصِ تَدُلُّ عَلَى الْكُفْرِ هَذَا يَلْزِمُكُمْ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تَفِرُّوا مِنْهُ.

أَنْتُمْ تَقُولُونَ: مَنْ أَثْبَتَ ظَوَاهِرَ النُّصُوصِ كَانَ مُمَثِّلًا.. مُشَبَّهًا فَيَكُونُ كَافِرًا.

فَنَقُولُ: ظَوَاهِرُ النُّصُوصِ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﷻ تُوَدِّي إِلَى الْكُفْرِ؟ مَنْ أَثْبَتَهَا كَفَرَ.. كَيْفَ؟

تَنَاقُضٌ وَخَبْطٌ، وَإِهْمَالٌ لِلْعَقْلِ.

فَيَقَالُ لَهُمْ: ظَاهِرُ النَّصِّ أَنَّ اللَّهَ ﷻ فِي الْإِسْتِوَاءِ، أَوْ فِي النُّزُولِ فِي الْكِتَابِ أَوْ فِي السُّنَّةِ الثَّابِتَةِ اسْتَوَى، أَوْ نَزَلَ، فَأَنْتُمْ عِنْدَمَا نَظَرْتُمْ فِي ظَاهِرِ النَّصِّ سِرْتُمْ عَلَى الْقَاعِدَةِ الَّتِي تَقُولُونَ مِنْ أَنَّ ظَاهِرَ النَّصِّ إِذَا أُخِذَ عَلَى حَالِهِ أَدَّى إِلَى الْكُفْرِ فَشَبَّهْتُمْ.. أَنْتُمْ شَبَّهْتُمْ.. أَنْتُمْ الْمُشَبَّهَةُ!

ثُمَّ وَقَعْتُمْ فِي مَا هُوَ أَسْوَأُ - أَيْضًا -؛ فَحَرَفْتُمْ لَقَدْ حُرِّمَ السَّوَاتِينِ يَا قَوْمٌ. شَبَّهْتُمْ ثُمَّ أَرَدْتُمْ أَنْ تَقْرُوا مِنَ التَّشْبِيهِ فَحَرَفْتُمْ، وَلَمْ يَدْعُكُمْ إِلَى ذَلِكَ دَاعٍ، لَا مِنْ كِتَابٍ وَلَا مِنْ سُنَّةٍ، وَلَا مِنْ قَوْلِ نَبِيِّ وَلَا صَاحِبٍ، وَلَا مِنْ إِرْشَادِ تَابِعِيٍّ وَلَا إِمَامٍ، لِمَاذَا؟

لِأَنَّكُمْ سِرْتُمْ وَرَاءَ مَنْ قَبْلَكُمْ لَمْ تَتَوَقَّفُوا، وَلَمْ تَتَمَهَّلُوا وَلَمْ تَتَنَبَّهُوا، وَلَمْ تُفَكِّرُوا؛ لِكَيْ تَأْخُذُوا الدِّينَ صَافِيًا مِنْ نَبْعِهِ، وَهُوَ مَا يَفْهَمُهُ الْمُسْلِمُونَ الْعَوَامُّ... الْعَوَامُّ!



الْعَقِيدَةُ الصَّحِيحَةُ فِي الصِّفَاتِ تُنتِجُ عَمَلًا

الْعَامِّي فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي عَلَتْ بِهِ السُّنُونُ لَوْ جِئْتَهُ فِي يَوْمٍ فَقُلْتَ لَهُ: عَمَاهُ!
مَا مَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]؟

سَيَقُولُ لَكَ: يَا وَلَدِي! الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى.. فَقَدْ سَمِعْتَهَا مِنْ
خَمْسِينَ.. سِتِّينَ.. سَبْعِينَ عَامًا... الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى.. مَاذَا تُرِيدُ؟

فَإِذَا قُلْتَ لَهُ: أَلَا يُؤَدِّي هَذَا إِلَى التَّشْبِيهِ؟ وَأَنْ تُشَبَّهَ اللَّهُ بِخَلْقِهِ؟ وَأَنْتَ إِنْ
قُلْتَ اسْتَوَى الرَّحْمَنُ عَلَى عَرْشِهِ، فَقَدْ جَعَلْتَهُ ذَاتًا وَقُلْتَ بِالْمُمَاسَّةِ، أَوْ بِالتَّحْيِزِ
فِي الْعَرْشِ، أَوْ أَثَبْتَ لَهُ الْجِهَةَ فَتَكُونُ مُشِيرًا إِلَى ذَاتٍ.

لَوْ قُلْتَ لَهُ ذَلِكَ، لَأَدَارَ عَلَى الْأَبْعَدِ النَّعْلَ عَلَى رَأْسِهِ!
لِأَنَّهُ لَمْ يَفْهَمْ هَذَا، وَلَمْ يَتَطَرَّقْ إِلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ هَذَا الزَّيْغِ الَّذِي يُرِيدُ مَنْ يُرِيدُ
أَنْ يَصُبَّهُ فِي أُذُنِهِ.. مَا لَكَ وَمَالَهُ؟

عَلَى حَسَبِ الْفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَ اللَّهُ الْخَلْقَ عَلَيْهَا... هَذَا الْعَامِّي يَسْمَعُ قَوْلَ
النَّبِيِّ ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فِي الثُّلُثِ الْأَخِيرِ مِنَ اللَّيْلِ».

فَلَا يَفْهَمُ مِنْهُ إِلَّا التَّنْزِيلَ، وَيُثَبِّتُ لِلَّهِ مَا أَثَبَّتَهُ لِنَفْسِهِ، وَيَقُولُ: يَنْبَغِي عَلَيَّ فِي
الثُّلُثِ الْأَخِيرِ مِنَ اللَّيْلِ أَنْ أَجْتَهِدَ فِي الدُّعَاءِ وَالْبُكَاءِ وَالتَّضَرُّعِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ

كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَمَعَ ذَلِكَ يَنْزِلُ فِي سَمَاءِ الدُّنْيَا فِي الثُّلُثِ الْآخِرِ مِنَ اللَّيْلِ يُنَادِي: «أَلَا هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ؛ فَأَغْفِرَ لَهُ، أَلَا هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ، أَلَا مِنْ طَالِبٍ حَاجَةٍ؛ فَأَقْضِيَهَا لَهُ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ».

يَقُولُ -الْعَامِّي- يَقُولُ: لَا يَلِيقُ بِي أَبَدًا، وَأَنَا الضَّعِيفُ الْعَاجِزُ الْمُضْطَرَبُّ الدَّلِيلُ أَنْ يَنْزِلَ الْعَزِيزُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا يُنَادِي فِي الثُّلُثِ الْآخِرِ مِنَ اللَّيْلِ، وَأَنَا غَافِلٌ أَوْ نَائِمٌ.

فِيُثَبِّتُ عِنْدَهُ عَمَلًا عَلَى اعْتِقَادٍ صَحِيحٍ، أَمَّا أَنْ تَأْتِيَ إِلَيْهِ وَتَقُولَ: النُّزُولُ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ عُلُوٍّ إِلَى سُفْلٍ، وَالنُّزُولُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مِنْ ذَاتٍ وَجِسْمٍ، وَالنُّزُولُ يَكُونُ لِلْمَخْلُوقَاتِ كَذَا..

فِإِذَنْ: فَقَدْ شَبَّهْتَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ، أَيُّ شَيْءٍ هَذَا؟

هَلْ قَالَ هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟

هَلْ قَالَهُ الصَّحَابَةُ؟ قَالَهُ التَّابِعُونَ؟ حَتَّى الْعُلَمَاءُ مِنْ أَيْمَتِنَا هَلْ قَالُوهُ؟!

لَمْ يَتَكَلَّمُوا فِيهِ إِلَّا رَدًّا، وَلَا نَتَكَلَّمُ فِيهِ الْآنَ إِلَّا رَدًّا لِرَدِّ زَيْغٍ وَزَيْفٍ وَضَلَالٍ، وَإِلَّا مَا تَكَلَّمْنَا فِي هَذَا أَصْلًا.

لَمْ يَتَكَلَّمِ الْعُلَمَاءُ بِأَمْثَالِ هَذِهِ الْأُمُورِ -أَعْنِي أَهْلَ السُّنَّةِ- إِلَّا لَمَّا تَكَلَّمَ الْمُبْتَدِعَةُ، فَرَدُّوا عَلَيْهِمْ، وَالْعِلْمُ نُقْطَةُ كَثَرِهَا الْجَاهِلُونَ.

تَكَلَّمَ أَهْلُ الضَّلَالِ وَالْبِدْعَةِ، فَرَدَّ عَلَيْهِمْ أَهْلُ الْحَقِّ وَالسُّنَّةِ، فَرَدَّ أَهْلُ الْبِدْعَةِ عَلَى رُدُودِ أَهْلِ الْحَقِّ، فَرَدَّ أَهْلُ الْبِدْعِ، فَرَدَّ أَهْلُ الْبَاطِلِ

عَلَى رُدُودِ أَهْلِ الْحَقِّ عَلَى رُدُودِ أَهْلِ الْبِدْعَةِ، فَاضْطَرَّ الْعُلَمَاءُ لِلتَّحْرِيرِ، وَالْكِتَابَةِ
وَالْكَلَامِ وَالِدِّفَاعِ عَنِ السُّنَّةِ، مَاذَا يَصْنَعُونَ؟

هَلْ يَصْمُتُونَ فِي تَيَّارِ الزَّيْفِ وَالزَّيْغِ وَالْبِدْعَةِ وَالضَّلَالِ يَعْلُو مَدُّهُ؟
يَتَكَلَّمُونَ يُبَيِّنُونَ يُحَرِّرُونَ، وَالْكَلَامُ عِنْدَ السَّلَفِ كَانَ قَلِيلًا، وَالْعُقُولُ وَافِرَةٌ،
وَالدِّينُ يَدْخُلُ النَّاسُ فِيهِ أَفْوَاجًا، سَهْلٌ.. سَمَحٌ.. لَيْسَ فِيهِ تَعْقِيدٌ.. لَيْسَ فِيهِ
التَّوَهُُّ.. لَيْسَ فِيهِ غُمُوضٌ.

أَهْلُ السُّنَّةِ عِنْدَمَا يَعْرِضُونَ عَلَى خَالِي الْعَقْلِ وَالْقَلْبِ مِنْ مُقَدَّرَاتٍ سَابِقَةٍ..
مِنْ مُقَدَّرَاتِ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالضَّلَالِ لَا يَبْدَعُونَ.

وَلَا يُعَرِّجُونَ عَلَيْهِ إِلَّا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ، يَعْنِي لَا يَتَكَلَّمُونَ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ
الْأُمُورِ إِلَّا عِنْدَ الْحَاجَةِ، أَهْلُ السُّنَّةِ لَا يَشْغَلُونَ الْخَلْقَ بِأُمُورٍ لَا تَرُدُّ عَلَى
أَلْسِنَتِهِمْ، وَلَمْ تَخْطُرْ عَلَى بَالِهِمْ، وَإِنَّمَا يَأْتُونَ بِمُجْمَلِ الْإِعْتِقَادِ، هَذَا مَا يَلْزَمُنَا
إِذَا أُمِّتْنَا - فِي الْمُجْمَلِ - أَنْ نُبَيِّنَ لَهُمْ مُجْمَلِ الْإِعْتِقَادِ حَتَّى إِذَا مَاتَ الْوَاحِدُ
مِنْهُمْ مَاتَ عَلَى الْإِعْتِقَادِ الصَّحِيحِ. مُجْمَلِ الْإِعْتِقَادِ.

وَأَمَّا مَا فَوْقَ ذَلِكَ، وَمَا وَرَاءَهُ، وَمَا دُونَهُ إِنَّمَا يَتَكَلَّمُونَ فِيهِ عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ،
فَإِذَا تَكَلَّمَ مُبْطِلٌ رَدُّوا عَلَيْهِ إِذَا أَدَاعَ أَدَاعُوا، مَاذَا يَصْنَعُونَ؟

وَلَكِنْ لَيْسَتْ الْعُهُدَةُ عَلَيْهِمْ فِي هَذَا، وَإِنَّمَا عَلَى مَنْ يَتَكَلَّمُ بِغَيْرِ عِلْمٍ.

